وقد أدرك هذا الأمر النصارىٰ قديماً وحديثاً؛ قال أحد قادة لذريق حينما وصف الجيش الإسلامي الفاتح: «إنه نزل بأرضنا قوم لا ندري أَمِنَ السماء نزلوا، أم من الأرض خرجوا؟!»(١)، وهذه المقولة تدل ـ بلا شك ـ علىٰ أن المسلمين كانوا ملتزمين بتعاليم الدين؛ مما جعلهم يتمتعون بروح معنوية عالية جعلت العدو النصراني يشك في حقيقتهم، والحق ما شهدت به الأعداء!

أما المحدثون من النصارىٰ، فقد أكثروا الحديث عن قوة المسلمين في بلاد الأندلس، وربطوا ذلك ـ قوة وضعفاً ـ بقرب المسلمين أو بعدهم عن منهج الله، ولعل مقولة كوندي تغنينا عن بسط القول حيث يقول: «العرب هوَوْا من بلاد الأندلس حينما نسوا فضائلهم التي دخلوا بها، وأصبحوا علىٰ قلب متقلب يميل إلىٰ الخفة والاسترسال في الشهوات»(٢).

ثانياً: انعدام الوحدة السياسية بين مسلمي الأندلس:

حينما دخل المسلمون بلاد الأندلس في سنة (٩٢ هـ/ ٧١١ م) كانوا يهدفون إلىٰ فتح تلك الديار ونشر دين الله فيها، ثم ضمها إلىٰ الدولة الإسلامية؛ لتكون إحدىٰ ولاياتها، وقد تم لهم ذلك؛ فأصبحت بلاد الأندلس مع بلاد المغرب تمثل الجناح الغربي للدولة الإسلامية الكبرىٰ.

وبعد سقوط الدولة الأموية بالمشرق، وضعف قبضة الخلافة العباسية علىٰ بلاد الأندلس، استطاع عبد الرحمن الداخل (١٣٨ ـ ١٧٢ هـ) أن يفرّ من المشرق ويقيم دولة مستقلة عن الخلافة في تلك البلاد، ومع مضي الزمن أحكم الأمويون

---

(١) ابن هذيل، تحفة الأنفس، ص ٧٠، المقري، نفح الطيب، ج ١، ص ٢٤٠، ابن عذارىٰ، البيان المغرب، ج ٢، ص ٨.
(٢) شوقي أبو خليل، عوامل النصر والهزيمة عبر تاريخنا الإسلامي، ص ١٢٢.

في بلاد الأندلس قبضتهم على تلك البلاد؛ إذ أخضعوها لحكم دولة واحدة زهاء قرنين ونصف، وفي آخر عمر تلك الدولة ومع نهاية القرن الرابع الهجري اعتراها الضعف ـ سنَّة الله في خلقه ـ؛ حيث بدأ بعض قادتها وولاتها يعلنون استقلالهم فيما يحكمون من بلاد.

وحينما تردّت الحالة السياسية في بلاد الأندلس، وعجزت دولة بني أمية عن السيطرة على الوضع هناك أُعلن في ذي الحجة سنة ٤٢٢ هـ إلغاء الخلافة الأموية، وقيام دولة بني جهور مكانها؛ لتحكم مدينة قرطبة وما حولها(١)، أما بقية أجزاء بلاد الأندلس فقد قامت فيها دول أخرى.

هكذا انفرط عقد الوحدة بين مسلمي الأندلس، فبعد أن كانوا يخضعون لمظلة دولة إسلامية واحدة، وكيان سياسي موحّد، تمتد من نهر دويرة شمالاً إلى مضيق جبل طارق جنوباً، ومن البحر المتوسط شرقاً حتى المحيط الأطلسي غرباً، تناثر هذا الكيان إلى أشلاء ممزقة، ورقاع متناثرة(٢)، وقد بلغت في مجموعها ستاً وعشرين دولة(٣)، وفي هذا يقول المراكشي: «وأما حال سائر الأندلس بعد اختلال دعوة بني أمية: إن أهلها تفرقوا فرقاً، وتغلب في كل جهة منها متغلب، وضبط كل متغلب منهم ما تغلب عليه، وتقسموا ألقاب الخلافة، فمنهم من تسمَّى بالمعتضد، وبعضهم تسمَّى بالمأمون، وآخر تسمَّى بالمستعين، والمقتدر، والمعتصم، والمعتمد، والمتوكل»(٤).

---

(١) ابن بسام، الذخيرة، ق ٦، ج ٢، ص ٦٠٢.
(٢) محمد عبد الله عنان، الدولة العامرية، ص ١٨٦، عبد الحليم عويس، ابن حزم الأندلسي وجهوده في البحث التاريخي، ص ٢٣.
(٣) رجب عبد الحليم، العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية، ص ٢٧٢.
(٤) المعجب، ص ١٠٥.

وكانت النزعة الاستقلالية قد تأصلت في نفوس أولئك القوم، يقول ابن حيان عن إسماعيل بن ذي النون: «وهو كان فرط الملوك في إيثار الفرقة، فاقتدىٰ به مَنْ بعده، وأمّوا في الخلافة نهجه؛ فصار جرثومة النفاق، ومنه تفجر ينبوع الفتن والمحن»[١].

وقد كان لهذه الدول ثلاثة اتجاهات عصبية هي البربر في الجزء الجنوبي، والصقالبة في شرق الأندلس، أما باقي الأندلس فكان تحت حكم العرب[٢]، وبالرغم من ضعف هذه الكيانات فلم تكن متعاونة مع بعضها، أو ساعية لتحقيق مصلحة المسلمين، بل كانت المنافسة والأطماع الشخصية هي السمَة المميزة في علاقاتها فيما بينها، وقد صور ابن الخطيب تلك الحالة بقوله: «وجعل الله بين أولئك الأمراء ملوك الطوائف من التحاسد، والتنافس، والغيرة، ما لم يجعله بين الضرائر المترفات، والعشائر المتغايرات، فلم تتصل لهم في الله يد ولا نشأ علىٰ التعاضد عزم، ولا توجه إلىٰ الاستكثار قصد»[٣].

كما قال عنهم ابن أبي دينار: «إنما أهلكهم التحاسد، واختلاف الكلمة»[٤] أما ابن حزم، فقد عدَّ واقعهم بأنه من الفضائح التي لم يسبق مثلها، والتي دلَّت علىٰ ضعف دولة المسلمين هناك[٥].

وهكذا تبدو لنا معالم سياسة ملوك الطوائف الداخلية والخارجية علىٰ حد

(١) ابن بسام، الذخيرة، ق ٤، ج ١، ص ١١٠ ـ ١١١، (نقلاً عن ابن حيان).
(٢) انظر في تفصيلات ذلك: محمد عبد الله عنان، دول الطوائف، ص ٤٦ ـ ٤٦٤، أحمد مختار العبادي، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، ص ٨٩ ـ ٩٦، لين بول، الدول الإسلامية، القسم الأول، ص ٦٢ ـ ٧٤.
(٣) أعمال الأعلام، القسم الثاني، ص ٢٤٤.
(٤) المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، ص ١٠١.
(٥) نقط العروس، ص ٨٣ ـ ٨٤.

سواء؛ حيث لم تسترشد النهج الإسلامي الذي يقوم على رفع شأن الإسلام والمسلمين، ومقاومة الخطر النصراني، بل أصبح وأضحى جلُّ اهتمامهم بالأمور الثانوية التي تتنافى مع الهدف السامي الذي دخل من أجله المسلمون الأندلس[١].

وقد اصطلح المؤرخون على تسمية هذا العصر بـ(عصر ملوك الطوائف[٢] أو عصر الفتنة[٣]، أو الفرق[٤])، كما أطلقوا على مؤسسي هذه الكيانات لقب: (زعماء الفتنة[٥]، أو أمراء الفرقة الهمل[٦]).

أما ملوك الطوائف فكما اقتسموا أراضي الدولة الأموية، فقد أعلنوا استقلالهم عن أي سلطة، وكان شعارهم: «أحق الناس بالملك من استقل به، والله ما أولي غير نفسي، ولا أقوم إلا بسلطاني...، والله لو نازعني سلطاني هذا الصدّيق لقاتلته، ولما سلمت له»[٧].

ولم يكتفوا بذلك بل إنهم اقتسموا ألقاب الخلافة، وتوزعوها فتلقبوا

---

(١) رجب عبد الحليم، العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية، ص ٢٧٤.

(٢) ابن عذارى، البيان المغرب، ج ٣، ص ٢١٩، ابن الخطيب، أعمال الأعلام، القسم الثاني، ص ٢٢٤.

(٣) ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ق ٣، ج ١، ص ٢٥، عبد الله بن بلقين، التبيان المعروف بمذكرات الأمير عبد الله، ص ٥٦، ٥٨، ٦٩، ابن عذارى، البيان المغرب، ج ٣، ص ١٩٤.

(٤) ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص ٧٨.

(٥) وقد سمَّاهم ابن الخطيب بـ(مقتسمي الملك من بعد الجماعة)، أعمال الأعلام، القسم الثاني، ص ٢٢٦، ١٨٣)، كما أن ابن حيان سمَّى إسماعيل الظافر بن ذي النون بـ(رئيس الخلاف ورأس الانحراف، وجمهور الجور والانحراف)، ابن بسام، الذخيرة، ق ٤، ج ١، ص ١٤٢، (نقلاً عن ابن حيان).

(٦) ابن عذارى، البيان المغرب، ج ٣، ص ٢٥٤.

(٧) ابن بسام، الذخيرة، ق ٤، ج ١، ص ١٤٣، ١٤٤، هذا القول منسوب إلى إسماعيل بن ذي النون، وقد ذكر ابن الخطيب أنه لو خرج عليهم عمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله ـ لما تنازل له. (أعمال الأعلام، القسم الثاني، ص ١٤٤).

بـ (الناصر، والمنصور، والمعتمد، والمعتضد)[١]، وقد صور ذلك الواقع الشاعرُ الأندلسي ابن رشيق حينما قال:

مما يُزهدني في أرض أندلس ... سماعُ مقتدر فيها ومعتضد
ألقابُ مملكة في غير موضعها ... كالهرِّ يحكي انتفاخاً صولة الأسدِ[٢]

كما تحدث عن واقع أولئك القوم ابن حزم، فقال ـ والأسىٰ والحسرة يملآن فؤاده، بسبب ما حل فيه ـ: «فضيحة لم يقع في العالم إلىٰ يومنا مثلها: أربعة رجال في ثلاثة أيام في مثلها، كلهم يتسمَّىٰ بإمرة أمير المؤمنين، ويخطب لهم فيها في زمن واحد!!»[٣].

وتفرقوا شيعاً فكلُّ قبيلة ... فيها أميرُ المؤمنين ومنبرُ[٤]

وكانت السمة الغالبة في علاقات ملوك الطوائف فيما بينهم هي العداء المستحكم، والخصام الدائم حول المصالح الذاتية، فالكثير منهم لا همَّ لهم إلا السعي لتحقيق مصلحتهم، وإشباعهم أنانيتهم، وتثبيت أقدامهم في السلطة علىٰ حساب مصلحة المسلمين؛ حيث قامت سياستهم الداخلية علىٰ السعي للتوسع علىٰ حساب القوىٰ المجاورة مهما كانت الوسيلة المؤدية إلىٰ ذلك، سواء أكان

---

(١) ابن خلدون، المقدمة، ج ٢، ص ٧٥١، وقد ذكر ابن عذارىٰ أن بعض ملوك الطوائف ذهبوا في انتحال الألقاب إلىٰ ما هو أبعد من ذلك، فقد تسمَّىٰ عبد الملك بن جهور بـ (ذي السيادتين، المنصور بالله، الظافر بفضل الله)، كما تسمَّىٰ أحمد بن جراح صاحب شلب بـ (ملك الملوك قاطع الشكوك)، (البيان المغرب، ج ٣، ص ٢٥٩ـ ٢٦٠، ٢١٥ـ ٢١٦)، لكنه ذكر أن أفعالهم كانت ضد أقوالهم، (العبر، ج ٤، ص ٤٠)، كما ذكر ابن حيان أن يحيىٰ بن إسماعيل بن ذي النون تلقب بـ (القادر بالله)، وذلك جهلاً منه بحقيقته وتهاوناً بالله وخليقته، (ابن بسام، الذخيرة، ق ٤، ج١، ص ١٤٢).

(٢) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، القسم الثاني، ص ٢٤٤، المراكشي، المعجب، ص ١٠٥.

(٣) نقط العروس في تواريخ الخلفاء، ص ٨٣ـ ٨٤.

(٤) عبد الرحمن الحجي، التاريخ الأندلسي، ص ٣٣٣.

ذلك بالحرب أم بالخيانة أم بالمؤامرات، أم بغيرها.

وهذا - بلا شك - مما أوقع أولئك في حيرة وقلق؛ حيث يدرك المتتبع لتاريخ ملوك الطوائف ما وقع بينهم من مصادمات حربية امتد بعضها إلىٰ عشرات السنين، ولم يكن هدفها نصرة مظلوم، أو إحقاق حق، أو رد معتد ظالم، بل كانت غايتها الرغبة في توسيع رقعة الأرض ومد ظل الملك والسلطان أو القضاء علىٰ ما يرىٰ من الدول المجاورة لضم أشلائها إلىٰ مملكته، ولقد حرصت دويلات النصارىٰ منذ نشأتها علىٰ إشعال الحرب الأهلية بين المسلمين هناك؛ لأن ذلك يحقّق مصلحة كبيرة لتلك الدويلات[١].

بل ربما كان الهدف دون ذلك وهو السعي لتحقيق المصالح الذاتية ولو علىٰ حساب مصلحة الدين والوطن، وكأن الأندلس إنما وجدت له مهما كان قصير العمر، ذليل المكانة، مهزوز القواعد[٢]، ولهذا وقع بين أولئك الملوك والأمراء من التحاسد والتنافس والغيرة ما لا يقع بين الضرائر المترفات؛ حيث لم يتعاونوا علىٰ بر أو تقوىٰ، أو يسعوا لمصلحة إسلامية، بل انصبت كل جهودهم علىٰ توفير ما يخدم مصالحهم الخاصة دون مصلحة المسلمين[٣]، وهذا مما أظلم الجو بينهم وبين رعاياهم، كما أوجد فجوة كبيرة بين ذينك الطرفين.

كأنَّ بلادَهم كانت نساءً تطالبُها الضرائرُ بالطلاقِ[٤]

وقد وُصف أحدهم بأنه جرثومة النفاق، وأول من استن سنة العصيان والشقاق، ومنه تفجر ينبوع الفتن والمحن[٥].

---

(1) Menedez Pidal: Historia de Espania: Tomo IV Madrid ,1957,pp191.

(٢) الحجي، التاريخ الأندلسي، ص ٣٣٢.

(٣) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، القسم الثاني، ص ٢٤٤.

(٤) ابن بسام، الذخيرة، ق ٣، ج ٣، ص ٨٢١، المقري، نفح الطيب، ج ٣، ص ٤١٥.

(٥) ابن بسام، الذخيرة، ق ٤، ج ١، ص ١٤٣.

وقد قال ابن حزم عنهم: «إن كل مدبّر مدينة أو حصن في شيء من أندلسنا هذه، أولها عن آخرها، محارب للـه ـ تعالىٰ ـ ورسوله، وساع في الأرض بالفساد؛ للذي ترونه عياناً، في شنهم الغارات على أموال المسلمين من الرعية التي تكون في ملك من ضارهم، وإباحتهم لجندهم قطع الطريق على الجهة التي يقضون على أهلها، ضاربون للمكوس والجزية على رقاب المسلمين، مسلطون لليهود على قوارع طرق المسلمين في أخذ الجزية والضريبة من أهل الإسلام، معتذرون بضرورة لا تبيح ما حرَّم الله، غرضهم فيها استخدام نفاذ أمرهم ونهيهم»[١].

أما ابن عبد البر عالم الأندلس المشهور، فقال واصفاً تلك الحالة: «فصار كل من غلب منها ـ يعني الجزيرة الأندلسية ـ على موضع مَلَكَه استعبد أهله، وكثر فيها الأمراء فضعفوا وصاروا خولاً للنصارىٰ»[٢].

هكذا كانت الحالة السياسية لبلاد الأندلس، فأشلاء الدولة الأموية تقاسمها العشرات من الأمراء والقادة.

أمورٌ لو تدبَّرها حكيمٌ ... إذن لنهى وهيّب ما استطاعا[٣]

أما علاقة ملوك الطوائف بمن ولاهم الله أمرهم من المسلمين، فكانت تقوم في الأعم الغالب على التسلط، والظلم، والاستعلاء[٤]، كما كانوا مطلقي الأيدي مستبدين، متساهلين في سفك الدماء[٥]، يُثقلون كواهلَ رعاياهم بجمع

(١) رسائل ابن حزم، تحقيق إحسان عباس، ج ٣، ص ١٧٣.
(٢) ابن عبد البر، القصد والأمم، ص ٣٥.
(٣) المقري، نفح الطيب، ج ٤، ص ٤٥٥.
(٤) ابن عذارىٰ، البيان المغرب، ج٣، ص ١٦٢، ٢٥٩.
(٥) إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي في عصر ملوك الطوائف والمرابطين، ص ١٧.

الأموال والإتاوات منهم؛ لإنفاقها على مصالحهم الذاتية أو لدفعها للنصارىٰ، كي يضمنوا بقاءهم علىٰ كرسي الحكم(١).

ومما لا شك فيه أن تلك التصرفات الحمقاء التي نهجها ملوك الطوائف سواء في علاقاتهم فيما بينهم، أو مع رعاياهم، أفقدتهم الثقة بقاعدتهم الشعبية، فاتسعت الهوة فيما بينهم؛ مما زاد من تصدع الوحدة السياسية بين المسلمين هناك، بل إنه نتيجة لهذا الأمر أصبح الناس ينقادون لأي صوت يظهر، أو راية ترفع ضد أولئك القادة، والشواهد هنا كثيرة حيث حفلت كتب التاريخ الأندلسي بذكرها، ومنها ما ذكره ابن الكردبوس من أن القادر ابن ذي النون (٤٦٧ـ٤٧٨ هـ) حاكم طليطلة، استنجد بالملك القشتالي ألفونسو السادس (٤٦٥ ـ ٥٠٢ هـ/ ١٠٧٢ ـ ١١٠٩م) لقمع إحدىٰ الثورات التي ظهرت ضده، فطلب منه الملك القشتالي أن يمده بمال مقابل نجدته، فجمع القادر الرعية وقال لهم: «أقسم لئن لم تحضروني هذا المال الذي طلب في الحين؛ لأجعلن عنده رهناً جميع من عندكم من العيال والبنين»(٢).

ولما سمع أهل طليطلة ما قاله لهم القادر، لم يجبه أحد منهم بحرف غير أبي شجاع ابن لبون(٣)، فقد أنكر عليه هذا العمل وقال له: «لقد خلعت نفسك بما قلت، وبما أزمعت عليه وعولّت»، ففسدت نفوس الجماعة ورأوا أنه لا تجب له عليهم طاعة، وبعد هذا الموقف ثار أهل طليطلة ضد القادر سنة ٤٧٢ هـ حيث كاتبوا ابن الأفطس ففر القادر من تلك المدينة ـ لما أحسّ بالخطر ـ إلىٰ وبذة(٤).

---

(١) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، القسم الثاني، ص ١٧١ ـ ١٧٢.
(٢) تاريخ الأندلس، ص ٨١ـ٨٢.
(٣) هو أبو شجاع أرقم بن لبون، تولىٰ قيادة وبذة، ينتمي إلىٰ أسرة بني لبون، من المولدين، توفي شهيداً سنة ٤٨١هـ، (ابن الأبار، الحلة السيراء، ج ٢، ص ١٩٩، ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص ٩٨).
(٤) ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص ٨٢.

ومن الشواهد ـ أيضاً ـ ما فعله أهل قرطبة إزاء حاكمهم عبد الملك بن جهور، حينما قدمت إليهم فرقة من جيش ابن عباد لنصرتهم ضد ابن ذي النون الذي هاجمهم في عقر دارهم، فلما انتهت مهمة الجيش العبادي، وهموا بالخروج من قرطبة بعد رحيل جيش ابن ذي النون عنها، أخذ أهل قرطبة[1] «يناشدونهم الله؛ ألا يبرحوا حتى يقبضوا على الغوي الظالم أميرهم عبد الملك بن جهور، ويحبسوا البلد على سلطانهم ابن عباد»[2].

وقد ذكر المؤرخون أن الجيش العبادي لم يبرح مدينة قرطبة حتى أسقط حكم بني جهور، وأقام على أنقاضه حكم بني عباد في تلك المدينة وما جاورها[3].

هكذا كانت حالة أولئك القوم، فالوحدة السياسية بين المسلمين قد انعدمت، والفوضى قد عششت بل فرخت في جميع أوطانهم، كما أن التنازع على السلطة والسلطان قد هيمن عليهم، فأصبح هو هاجسهم الدائم، كما ادعى كل واحد من قادتهم، أو متغلب عليهم، بأنه هو السلطان الشرعي، وأن من عداه هو خارج عن الجماعة، ونازع للطاعة.

ومما لا شك فيه أن هذا الشعور هو الذي دفع أهل بلنسية بقيادة القاضي ابن جحاف[4] إلى خلع طاعة القادر بن ذي النون، وفي هذا يقول ابن عذارى: «لما

---

(١) ابن بسام، الذخيرة، ج ١، ق ٢، ص ٦١٤، ابن عذارى، البيان المغرب، ج ٣، ص ٢٦٠ ـ ٢٦١.

(٢) البيان المغرب، ج ٣، ص ٢٦٠.

(٣) ابن بسام، الذخيرة، ج ١، ق ٢، ص ٦١٤، ابن عذارى، البيان المغرب، ج ٣، ص ٢٦١، محمد عبد الله عنان، دول الطوائف، ص ٢٨.

(٤) القاضي ابن جحاف، هو أبو أحمد جعفر بن عبد الله بن جعفر بن جحاف، من علماء مدينة بلنسية، ومفكري الأندلس المشهورين، طلب العلم في أول الأمر على أبي عمر بن عبد البر بمدينة شاطبة، وقد تولى القضاء بمدينة بلنسية، فلما ساء واقع ابن ذي النون عزم أهل بلنسية على التخلص منه، وتعيين ابن جحاف مكانه، وقد تم لهم ذلك، لكن النصارى المتربصين غضبوا =

ملك القادر بلنسية أحدث فيها أحداثاً، وغيّر أحكاماً، وأظهر منكراً كثيراً وصادق الفونش (ألفونسو السادس)، وهاداه وراسله، فخاف أهل بلنسية منه أن يُملكها للفونش كما ملَّكه طليطلة، فاجتمعوا وعزموا على قتله وتقديم ابن جحاف»[١].

هذه نماذج وصور تدل دلالة واضحة على واقع أولئك القوم؛ حيث طغت عليهم الفرقة والأنانية المفرطة فضلاً عن الخلافات والتناحر فيما بينهم، ولم يكن هذا الأمر خافياً على العدو النصراني المتربص، ولا سيما ألفونسو السادس ـ ملك قشتالة ـ الذي كان يدرك حقيقة ذلك الواقع؛ وهذا ما جعله يرسم الخطط، ويضمر النيات للاستفادة من تلك الفوضى السياسية التي حلَّت بجيرانه، وقد أفصح عن هذه الخطط وتلك النيات حينما قال لرسول المعتمد ابن عباد لما قدم إليه: «كيف أترك قوماً مجانين تسمَّى كل واحد منهم باسم خلفائهم وملوكهم، . . . وكل واحد منهم لا يَسلّ في الذب عن نفسه سيفاً، ولا يرفع عن رعيته ضيماً ولا حيفاً، قد أظهروا الفسوق والعصيان، واعتكفوا على المغاني والعيدان؟! وكيف يحل لبشر أن يقر منهم على رعيته أحداً، وأن يدعها بين أيديهم سدى؟!»[٢].

وهكذا كان واقع الإسلام والمسلمين بالأندلس في عصر ملوك الطوائف، وقد اتضحت هذه الصورة لدى أحد الباحثين المعاصرين؛ مما دفعه إلى القول: إن

= لخلع ابن ذي النون الموالي لهم، فحاصروا بلنسية بقيادة القائد النصراني الكنبيطور حتى تمكنوا من خلعه وأحرقوه بالنار.

انظر في تفصيلات ذلك: ابن بسام، الذخيرة، ق ٣، ج ١، ص ٩٧، ابن الأبار، التكملة، ج ١، ص ٣٩، ابن عميرة، بغية الملتمس، ص ٢٥٧، ابن الخطيب، أعمال الأعلام، القسم الثاني، ص ٢٤، ابن عذارى، البيان المغرب، ج ٣، ص ٣٠٥، ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص ١٠٠.

(١) البيان المغرب، ج ٣، ص ٣٠٥.

(٢) ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص ٨٩.

دول ملوك الطوائف لم تكن دولاً بالمصطلح السياسي المعروف، وإنما كانت أقرب ما يكون إلىٰ وحدات الإقطاع، أو عصبية الأسرة والجماعة القبلية، ولهذا لم تكن بها حكومات منظمة تسعىٰ لصالح من تحت يدها من الشعوب، وإنما كان جُلُّ همِّها السعي لمصلحتها الذاتية، وتدعيم سلطانها، ولا يهمها بعد ذلك أن تسعد الأمة أو أن تشقىٰ، كما لا يهمها أن يسمو شأن الدين أو يذل؛ حيث كانوا[١] «لا يغاورون عدواً ولا تطرقهم نائبة»[٢]. بل إن أحد الكتاب النصارىٰ ذكر أن تناثر بلاد الأندلس بين عدد من الكيانات والإمارات الصغيرة، أدىٰ إلىٰ تراخي السلطة فيها؛ ومن ثم عدم سيطرتها علىٰ البلاد، حيث فقد الحكم فيها هيبته وصرامته[٣].

ثالثاً: تخلي كثير من مسلمي الأندلس عن الجهاد في سبيل الله:

كانت حركة الفتح الإسلامي لبلاد الأندلس حلقة في سلسلة جهاد المسلمين المتعددة الحلقات والأطوار؛ ذلك أن المد الإسلامي الذي حمله أولئك المجاهدون لم يكن حركة غزو وغنائم أو سيطرة سياسية، بل هو موكب دعوة إصلاحية تدعو إلىٰ الله علىٰ هدىٰ وبصيرة، منهجها كتاب الله وسنَّة رسوله ﷺ، وميدانها الأرض كلها، أما موضوعها فهم البشر جميعاً[٤].

وقد تأصل هذا المبدأ عند المسلمين جميعهم، وفي الأمكنة والبقاع كافة، حيث سارت الدعوة الإسلامية في الأرض عامرة باهرة[٥]، شعار أولئك المجاهدين قوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿ **وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ** ﴾ [**الأنفال**: ٣٩].

(١) رجب عبد الحليم، العلاقات، ص ٢٧٥.
(٢) ابن عذارىٰ، البيان المغرب، ج ٣، ص ١٦٠.
(٣) هنري بيرس، الشعر الأندلسي في عصر ملوك الطوائف، (ترجمة الطاهر أحمد مكي)، ص ٣١٧-٣١٨.
(٤) عبد الرحمن الحجي، التاريخ الأندلسي، ص ١٧٢.
(٥) المرجع السابق، ص ١٧٢ـ١٧٣.